مركز الحوار السوري
Syrian Dialogue Center

قراءة في بعض تجارب فصائل المعارضة مع تنظيمات الغلو والتطرف

إعداد: أ. عباس شريفة

ورقة بحثية قدمت في الندوة الحوارية "نحو مقاربة نموذجية لمواجهة خطاب الغلو والتطرف في السياق السوري من خلال التجارب والدروس المستفادة" وذلك في مدينة استنبول، يوم السبت 22 ربيع الآخرة 1440هـ، الموافق لـ 12/29/ 2018م

المحتويات

مقدمة: 2

نماذج وعينات الدراسة: 2

صعوبات الدراسة: 3

تجربة جبهة ثوارسوريا في التعامل مع فكر الغلو وفصائله: 4

تجربة جيش الإسلام في التعامل فصائل الغلو: 13

تجربة "جيش الفتح" في التعامل مع فكر الغلو وفصائله: 16

تجربة حركة نور الدين الزنكي "الأولى": 20

خلاصة الدراسة ونتائجها: 27

مقدمة:

تعددت تجارب فصائل المعارضة في تعاملها مع قوى التطرف والغلو بحسب المنطقة والفصيل، الأمر الذي أوجد تجارب متعددة نوعياً ومكانياً وزمانياً. معظم تجارب هذه الفصائل ابتدأت بالتعاون وانتهت بالمواجهة والقتال. وإذا كانت تجربة الفصائل مع "داعش" هي الأوضح والأسرع في التحول من سياسية "الاحتواء" ومحاولة "التفكيك" إلى "المواجهة والقتال"، إلا أن التجارب مع فصائل الغلو والتطرف الأخرى "كالنصرة وتنظيم جند الأقصى والحزب الإسلامي التركستاني" لم تكن كذلك، حيث مرت تلك التجارب بمراحل ونماذج متعددة قبل الوصول إلى مرحلة "المواجهة والقتال".

على الرغم من نجاح فصائل المعارضة في استئصال تنظيم "داعش" في الغوطة الشرقية وريف حلب الغربي، ومحافظة إدلب وعدد من المناطق الأخرى، لكنها اضطربت في تعاملها مع "جبهة النصرة" المبايعة للقاعدة وفصائل الغلو الأخرى مثل جند الأقصى والحزب الإسلامي التركستاني، وقد رافق ذلك تحولات لبعض جماعات "السلفية الجهادية" نحو الخطاب الوطني والاعتدال النسبي،

تأتي هذه الدراسة لتسليط الضوء على بعض تجارب الفصائل في مواجهتها وتعاملها مع فكر الغلو وفصائله، بهدف استخلاص الدروس المستفادة من خلال استعراض ممارسات وخطابات مختلف تلك الفصائل فيما يتعلق بمواجهة الخطاب والمشاريع المتطرفة كتنظيم الدولة والجماعات المتطرفة الأخرى المماثلة، وصولاً إلى استخلاص مجموعة من "أفضل الممارسات" فيما يتعلق بمواجهة خطاب الغلو فكرياً وسياسياً، مع استخلاص أهم الأخطاء التي من المحتمل أنها قد دفعت بعض الشباب إلى التأثر بخطاب جماعات الغلو والتطرف.

تفترض الورقة أن العلاقة بين الفصائل المسلحة وبين تنظيمات الغلو والتطرف مرت عبر خطوط كثيرة من التحولات في الموقف والإجراءات، بدءاً من التماهي الإيديولوجي انتقالاً إلى الترحيب والتعاون، مروراً بالتوتر والخلافات والمواجهات الأمنية، وصولاً إلى المفاصلة النهائية والقتال العسكري الشامل.

تبرز أهمية هذه الدراسة في أنها تحاول تحليل تجارب مواجهة فكر الغلو أو التعامل معه احتواء أو مسايرة أو تنسيقاً، لتحديد نتائج تلك السياسات وآثارها السلبية والإيجابية.

نماذج وعينات الدراسة:

فصيل جبهة ثوار سورية كفصيل شعبي ثوري كانت له تجربة طويلة في الصراع مع تنظيم الدولة، ثم مع تنظيم "جبهة النصرة"، وتنظيم جند الأقصى.

جيش الإسلام كفصيل متماسك عسكرياً ومعبأ أيديولوجياً ضد فكر الغلو وفصائله، نجح بشكل شبه كامل في القضاء على "داعش"، ونسبياً في القضاء على "جبهة النصرة" في الغوطة الشرقية.

جيش الفتح باعتباره حالة تعبر عن تنسيق عال بين مجموعة من الفصائل الثورية: "أحرار الشام، جيش السنة، فيلق الشام، لواء الحق، أجناد الشام"، وبين تنظيمين من تنظيمات الغلو والتطرف هما: "جبهة النصرة، جند الأقصى".

حركة نور الدين الزنكي كتجربة حققت قسطاً من النجاح في التصدي لمشروع هيئة تحرير الشام.

صعوبات الدراسة:

كثرة حالة الاندماجات والانشقاقات بين الفصائل وتعدد المشاريع الفصائلية.

اختلاط العوامل الاجتماعية بالإيديولوجية بالسياسية، في رسم طبيعة العلاقة بين الفصائل وبينها وبين تيارات الغلو والتطرف.

لا تعبر البيانات الرسمية والتصريحات العلنية والمقابلات الصحفية، في الغالب عن حقيقة الأزمة التي تعيشها الفصائل، ولا تعبر عن طبيعة العلاقة بينها وبين تيارات الغلو والتطرف، فالعلاقة أساساً خاضعة لبرغماتية عالية، يأتي في أولويتها الحفاظ على وجود الفصيل.

تجربة جبهة ثوارسوريا في التعامل مع فكر الغلو وفصائله:

جبهة ثوار سوريا هي تحالف عسكري تشكل في كانون الأول ديسمبر بين عدة تشكيلات وألوية تابعة للجيش السوري الحر تضم أكثر من 15 فصيلاً[1]. وكانت تعد الجبهة مصنفة غربيًا ضمن ما يوصف بالمعارضة المعتدلة[2]. حتى أن بعض الصحف الغربية كانت تصف جبهة ثوار سوريا أنها بديل مناسب عن نظام الأسد[3].

وكانت تعلن دائما أن هدفها اسقاط النظام السوري، ولا تقاتل إلا النظام، وكان قائدها يعلن أنه لن يقاتل أحد من الفصائل الإسلامية ما عدا "دولة العراق والشام" التي بدأت الاعتداء على فصائل الجيش الحر[4].

وقد اندلعت يوم 26 تشرين الأول أكتوبر 2014 اشتباكات بين جبهة ثوار سوريا و"جبهة النصرة"، في منطقة جبل الزاوية بريف إدلب. نجحت "جبهة النصرة" على إثرها في السيطرة على تلك المنطقة، لتفقد بذلك جبهة ثوار سوريا معقلها الرئيسي شمالي سوريا في تشرين الثاني نوفمبر 2014[5].

الأسباب التي دفعت النصرة للقضاء على جبهة ثوارسوريا:

على الرغم من تذرع النصرة بأن السبب الأساسي من هجومها على النصرة هو "الفساد" المستشري ضمن الفصيل على الصعيد العسكري من خلال تخزين السلاح وعدم فتح الجبهات مع النظام، ومدنياً من خلال الأتاوات التي كانت تفرض على المدنيين والسماح بمرور سيارات تحميل الوقود تجاه تركيا، إلا أن ذلك ما كان إلا غطاء لأسباب أخرى حقيقية شكلت دافعاً "للنصرة لهذا الهجوم، نلخصها بما يلي:

حرب الموارد: مع نهاية القتال مع "داعش"، خسرت جبهة ثوار سوريا مواردها في حقل شاعر النفطي في ريف حماة والذي كان يدر عليها مبالغ طائلة، واستعاضت عن هذه الموارد بحواجز جباية على الحدود السورية التركية لجباية الأموال من حافلات النفط التي تهرب النفط لتركيا، والنصرة هي الأخرى خسرت أهم مواردها النفطية بعد انهيار فرعها التنظيمي في الشرقية وخسارتها لحقل كونيكو أمام "تنظيم الدولة"، فبدأت تبحث عن موارد لتغطية نفقاتها المتزايدة، وهنا كانت أنظار النصرة

1- ضمت الجبهة في بداية تشكيلها الفصائل التالية: المجلس العسكري في محافظة إدلب، تجمع ألوية وكتائب شهداء سوريا، تجمع ألوية أحرار الزاوية، ألوية الأنصار، ألوية النصر القادم، الفرقة السابعة، الفرقة التاسعة في حلب، كتائب فاروق الشمال، كتائب فاروق حماة، لواء ذئاب الغاب، لواء شهداء إدلب، كتائب رياض الصالحين في دمشق، فوج المهام الخاصة في دمشق.

ينظر: بيان تشكيل جبهة ثوار سوريا، الرابط: https://bit.ly/2R0XTuh.

2 ساهم في ذلك، تفسير تشكيل جبهة ثوار سوريا آنذاك بأنه جاء كردة فعل على تشكيل "الجبهة الإسلامية"، التي ضمت الفصائل ذات التوجه الإسلامي، حيث اقتصر تشكيل جبهة ثوار سوريا على الفصائل المنضوية تحت لواء الجيش الحر، والتي لم تكن تملك خلفية أيديولوجية "إسلامية" كتلك التي تمتلكها "الجبهة الإسلامية".

3 David Ignatius: In Syria, a rebel with a cause, The Washington Post, March 13, 2014, link: https://wapo.st/2H1Qvh1.

4 - من لقاء قائد جبهة ثوار سوريا مع تيسير علوني، الرابط: https://bit.ly/2U4J6kj.

5 - رسالة مصورة من جمال معروف إلى الجولاني، الرابط: https://bit.ly/2S0oex7.

تتجه إلى المنطقة الحدودية في حارم وسرمدا وسلقين ودركوش، والتي تسيطر عليها جبهة ثوار سوريا ، فكانت ذرائع البغي ظاهرها الحرب على الفاسد وباطنها البحث عن الموارد للإنفاق على المشروع الخاص.

مجلس قيادة الثورة وحرب المشاريع: ما أن وضعت الحرب بين تنظيم الدولة والفصائل أوزارها، حتى شعرت الأخيرة بالحاجة إلى مشروع جامع يحمي مكتسبات الثورة.

كانت اللبنات الأساسية لمشروع مجلس قيادة الثورة الذي ضم في صفوفه أكثر من /100/ فصيل عسكري، قد توافقت عليها أهم الفصائل الموجودة آنذاك، وكانت جبهة ثوار سوريا جزءاً من هذا المشروع الذي تم الإعلان عنه في 2014/11/29 في مدينة غازي عينتاب[6]، وكانت جبهة ثوار سوريا تبحث عن حلف عسكري مع الفصائل يكف شهوة النصرة في التهامها[7]، لكن مشروع مجلس قيادة الثورة لم يفعّل ولم يتم هيكلته بشكل مؤسساتي، ليقع البغي لاحقاً على جبهة ثوار سوريا في عقر دارها في جبل الزاوية من دون أن تحرك الفصائل الأخرى ساكناً[8].

وجود تيار متطرف داخل النصرة يرغب بالانتقام من جمال معروف: بعد أن دخلت غالبية الفصائل العسكرية –ومنها جبهة ثوار سوريا-مواجهة مفتوحة مع تنظيم "داعش" في بداية 2014، ولّدّ ذلك ردة فعل لدى الكثير من العناصر سواء التي بقيت داخل "جبهة النصرة" الرافضة آنذاك لدخول تلك المعركة وأخذت دور المحايد أو كانت داخل بعض الفصائل وكانت لديها بذور من الغلو والتطرف.

لجأت غالبية هؤلاء العناصر الحاقدين على الفصائل والمتعاطفين مع "داعش" وغير القادرين على الالتحاق بها، إلى "جبهة النصرة"، مما شكل تياراً شديد التطرف وبحجم كبير داخلها يدفع بشدة للانتقام من الفصائل، ليستغل قائد النصرة هذا التيار في التخلص من الفصائل والعمل على بناء "مشروع الإمارة".

ذرائع القتال بين جبهة ثوار سوريا وتنظيم "جبهة النصرة" وإنهاء "ثوار سوريا":

---

6 - بيان تشكيل مجلس قيادة الثورة، الرابط: https://bit.ly/2ASTK6s، لقاء مع قائد جبهة ثوار سوريا حول تشكيل مجلس قيادة الثورة، الرابط: https://bit.ly/2RUSedS.

7 - شعرت قيادة جبهة ثوار سوريا بأهداف النصرة من خلال عدة مؤشرات أهمها: اشتداد الحملة الإعلامية التي بدأتها النصرة ضد فصيل جبهة ثوار سوريا من خلال المواقع الرديفة، وسابقة البغي الذي استهدف وجود جبهة ثوار سوريا في المناطق الحدودية.

8 كان موقف الفصائل من إعلان الحرب على جبهة ثوار سوريا، يدور بين الصمت، وبين من يصدر بيان يدعو لمحكمة شرعية، وبين من يدعو لقوات فصل، ولم يعلن أي فصيل موجود في الشمال وقوفه إلى جانب "جبهة ثوار سوريا".

فقد كان التحشيد ضد جبهة ثوار سوريا يتم عبر جيش الكتروني ومعرفات وهمية، أغلبها لا ينتمي ل "جبهة النصرة" ظاهرياً. وقد لجأت النصرة إلى هذا الأسلوب لكي تظهر للجمهور أن مطلب محاسبة جبهة ثوار سوريا هو مطلب شعبي، لكن بعد القضاء على جبهة ثوار سوريا بدأت المعرفات الرسمية للنصرة تنشر أشياء عن فساد جبهة ثوار سوريا كنماذج لتبرير بغيها، وهذه نماذج عنها:

- مقطع منسوب عن جمال معروف وفضحه على لسان مرافقه، الرابط: https://bit.ly/2DrfpEJ.
- مقطع منسوب إحدى مقابر جمال معروف الجماعية التي تم اكتشافها في جبل الزاوية، الرابط: https://bit.ly/2FFByB9.
- فيديو لقيام "جبهة النصرة" بإخراج الاسلحة التي كان جمال معروف يخزنها تحت الأرض، الرابط: https://bit.ly/2T4xVYL.

نجحت غالبية فصائل الغلو، ومنها "جبهة النصرة"، في التمهيد لأية عملية بغي تريد القيام بها من خلال الآلة الإعلامية التي كانت تحركها قبل البدء بالعملية فضلاً عن توظيف أذرعها وأدواتها الأمنية. وهذا ما لجأت له في تعاملها مع "جبهة ثوار سوريا". حيث ساقت "جبهة النصرة" الذرائع التالية لتبرير اعتدائها، وهي:

الاتهام بالفساد والإجرام وحماية اللصوص والتعامل مع المخابرات الخارجية والاعتداء على عناصر "جبهة النصرة": كانت الذريعة المعلنة لقيادة "جبهة النصرة" في قتالها لجبهة ثوار سوريا هي الفساد واللصوصية والتعامل مع المخابرات الغربية[9].

كما كانت معارك جبهة ثوار سوريا الباردة والفاشلة[10] على معسكرات وادي الضيف مادة إعلامية دسمة لـ"جبهة النصرة"[11]، من حيث اتهامها بالتعامل مع النظام، وتمرير الطعام لقواته مقابل المال[12].

وفي السياق ذاته، استغلت "جبهة النصرة" التصرفات السيئة لعناصر فصيل جبهة ثوار سوريا وقامت بتضخيمها فسادها من خلال الدروس الشرعية التي كانت تعطى لعناصرها، إضافة إلى المواعظ والخطب التي كان يقوم بها شرعيوها لتهيئة الناس ودفعها للقبول بالتخلص من "جبهة ثوار سوريا"[13].

البحث عن ثأر أبي عبد العزيز القطري وصناعة المظلومية: اتهمت "جبهة النصرة" فصيل جبهة ثوار سوريا، وتحديداً جمال معروف، بقتل "أبو عبد العزيز القطري"، لتبدأ بتحشيد "المهاجرين" وبعض فصائل الغلو مثل "فصيل جند الأقصى" الذي كان يتزعمه "القطري" من اجل "الثأر" لمقتل قائدهم[14].

---

9 قال الجولاني في مقابلة صوتية أذاعتها شبكة المنارة البيضاء التابعة ل "جبهة النصرة": "جمال معروف اعتدى على أهالي بلدات في جبل الزاوية وعلى عناصر النصرة هناك، وهو يحمي عددًا من اللصوص وقطاع الطرق"

10 شنت الفصائل عدة معارك فاشلة ضد وادي الضيف والحامدية كان أبرزها: معركة البنيان المرصوص في 2013/4، ومعركة القيامة 16/ 2014/07 والجيش الواحد في 8-2014/9.

11 ركزت "جبهة النصرة" على جبهة ثوار سوريا دوناً عن بقية الفصائل الأخرى التي كانت تشترك معها "جبهة ثوار سوريا" في المعارك، حيث بلغ عدد الفصائل التي كانت ترابط على وادي الضيف بحدود 32 فصيلاً.

12 بدأت الآلة الإعلامية الرديفة للنصرة، والتي سيكون لها دور رئيسي في كل عمليات القتال اللاحقة، بتحميل جبهة ثوار سوريا مسؤولية فشل كل المعارك التي خيضت على تلك الجبهة، نظراً لفسادها وعدم رغبتها أو قدرتها على مواجهة النظام.

ينظر على سبيل المثال: بيان حزب التحرير أدناه، والذي يعد نموذجاً عن الدعاية التي ساندت النصرة آنذاك في حربها ضد "جبهة ثوار سوريا"، https://bit.ly/2Sbmgu2.

13 إن ضخامة تنظيم مثل جبهة ثوار سوريا مع وفرة السلاح والمال، وعدم فتح المعارك على الجبهات، كانت عوامل سلبية أدت إلى حالة من الترهل داخل التشكيل الذي كان أشبه بالتجمعات العسكرية أكثر منه تنظيماً مؤسساتياً، كما دفعت كثيراً من عناصره إلى الممارسات السيئة باسم الفصيل والتي شكلت بدورها دعاية سوداء خدمت أجندة النصرة في تبرير البغي والقتال. ولا شك ان النصرة ومن خلال إعلامها الرديف لفقت الكثير من تهم الفساد التي لا أصل لها دفاعاً عن روايتها في اتهام جبهة ثوار سوريا بالفساد.

14 جاء في شهادة حذيفة عزام على القتال الذي دار بين "جبهة النصرة" وجبهة ثور سوريا أنه، وأثناء الصراع الدائر بين جبهة ثوار سوريا وفصائل الجيش الحر من جهة وبين تنظيم الدولة من جهة أخرى، كانت الروايات التي ترد من إعلام تنظيم الدولة أن جمال معروف يقوم بقتل المهاجرين، هنا قام قائد تنظيم جند الأقصى الذي أخذ دور الحياد بزيارة جمال معروف لثنيه عن قتل المهاجرين، وأثناء الزيارة قتل "القطري" في بيت جمال معروف.
ينظر: شهادة الدكتور حذيفة عزام على الرابط التالي: https://bit.ly/2MAdJvw.

بعد الحشد الإعلامي والعسكري التي قامت به النصرة من خلال الإعلام الرديف، بدأ البغي ضد أحد أكبر فصائل الجيش الحر في جبل الزاوية وعلى مستوى سوريا[15]. كانت البداية بالسيطرة على المناطق الحدودية في حارم وسلقين ودركوش، حيث طردت النصرة كتائب جبهة ثوار سوريا من تلك المنطقة الاستراتيجية بدون أي رد فعل تذكر من قيادة ثوار سوريا خلا بعض الدعوات لـ "محكمة شرعية"، وبقيت التوترات بين الطرفين، إلى أن قررت النصرة إنهاء جبهة ثوار سوريا في عقر دارها في جبل الزاوية.

تحليل تجربة "جبهة ثوارسوريا" في تعاملها مع فصائل الغلو: عوامل الفشل والسقوط:

مثلت تجربة جبهة ثوار سوريا باكورة المواجهات مع تيار الغلو، حيث استطاعت "جبهة النصرة" القضاء بشكل كامل على أحد أكبر التنظيمات المحسوبة على التيار المعتدل وتيار الجيش الحر، والسؤال الذي يطرح نفسه؟ لماذا فشلت جبهة ثوار سوريا في مواجهة "جبهة النصرة"؟ هل كانت الاستراتيجية التي اتبعتها "جبهة ثوار سوريا" فاشلة؟ ولماذا لم تستطع الوقوف في مواجهة تيار الغلو؟

التنافر الفصائلي وفقدان الحاضنة الاجتماعية:

على الرغم من بعض الأنشطة الخيرية وتوزيع المساعدات للأهالي الذي كانت تقوم به جبهة ثوار سوريا[16]، لم تستطع جذب الحاضنة الاجتماعية الموجودة في جبل الزاوية إلى صفوفها أو على الأقل التعاطف معها والدفاع عنها، ونعتقد أن أهم الأسباب التي أدت إلى ذلك، التصرفات السيئة التي كانت تصدر عن كتائبها ومجموعاتها، ووجود مشاريع فصائلية أخرى كانت منافسة لـ "ثوار سوريا" لم تكن مرتاحة لتوسعها وازدياد نفوذها في منطقة جبل الزاوية؛ فقد كانت قرى جبل الزاوية –عمق جبهة ثوار سوريا- مقسمة على عدة فصائل، وحتى القرية الواحدة كان تضم عدة فصائل الأمر الذي سهّل على النصرة استغلالا الحساسيات الفصائلية وتقسيم ولاءات الحاضنة الشعبية[17].

وفي السياق الاجتماعي ذاته، تولد لدى بعض العوائل والمكونات الاجتماعية المؤيدة للنظام والتي حملت السلاح معه، وفقدت أبناءها على يد الثورة، حقد وكراهية ورغبة بالانتقام من الثورة، ووجدوا في الانضمام إلى تنظيمات الغلو والتطرف من جند

وقد كشفت المعلومات فيما بعد أن أبي عبد العزيز القطري، قُتل عن طريق الخطأ في بيت جمال معروف من قبل شخص كان قد قُتل أولاده على يد "داعش"، فظن أن أبا عبد العزيز من جماعة الغلاة فبادره بمسدسه الشخصي وقتله.

15 منذ تسريب خطاب أمير "جبهة النصرة"، أبي محمد الجولاني، بعد انحسار "داعش" من ريف حلب الغربي والشمالي في الشهر الثالث 2014 مع وجود ثلة من شباب النصرة في إحدى معسكرات ريف حلب الشمالي، وبحضور الشيخ المحيسني، حيث أكد الجولاني فيه نيته "إقامة إمارة إسلامية في سوريا تجبي الزكاة وتقيم دور العدل وتحارب المفسدين لتقيم شرع الله تعالى"، بدأ العد العكسي لبداية الصراع مع فصائل الجيش السوري الحر وخاصة المدعومة غربياً، والتي توصف بالاعتدال.

16 جبهة ثوار سوريا، الجمعية الخيرية (تقديم المساعدات الإنسانية لأهالي قرية كفررومة في ريف المعرة)، https://bit.ly/2HzoUFS.

17 ذكر الجولاني بصوتية له: "لم يكن القتال كما جرى تصويره بين معروف والنصرة فقط، فقد شاركنا فيه لواءان من صقور الشام ولواءان من أحرار الشام وكذلك جند الأقصى، وجمع من أهالي جبل الزاوية".

ينظر: بهية مارديني، تقرير صحفي: هجوم موسع على ثوار سوريا ومديح ل "جبهة النصرة"، موقع إيلاف، https://bit.ly/2S6ny9I.

الأقصى و"جبهة النصرة" وسيلة مجدية للانتقام وإعادة الاعتبار الاجتماعي الذي فقدوه في بداية الثورة نتيجة وقوفهم إلى جانب النظام[18].

الاتساع الكمي على حساب الترابط البيني:

توسعت جبهة تحرير سوريا بشكل كبير من حيث الكم العددي ومن حيث الانتشار الجغرافي، وكان هذا التوسع العددي الذي وصل إلى /20/ ألف مقاتل[19]، والتوزع الجغرافي على مناطق الشمال والجنوب، على حساب صلابة البنية الإدارية التي بقيت هشة للغاية، وعلى حساب الانسجام الفكري بين الجنود، خصوصاً فيما يتعلق بالتكوين الفكري الذي يعصم وعيهم من التردد في مواجهة أي مشروع معاد لأهداف الثورة.

لقد انكشفت هذه الهشاشة الفكرية والترهل التنظيمي، أمام صد أول محاولة بغي يتعرض لها الفصيل، حيث لم يقتصر الخذلان على حلفاء جبهة ثوار سوريا من مجلس قيادة الثورة والفصائل المنضوية فيها، ولا الفصائل التي كانت تدعمها جبهة ثوار سوريا، وإنما كان التقاعس من القيادات نفسها داخل الفصيل، حتى أنه لم يقاتل مع قائد جبهة ثوار سوريا إلا فصيله الذي تشكل عام 2012 وهو ألوية وكتائب شهداء سوريا ضمن منطقة جبل الزاوية حيث كانت نهاية الفصيل.

هذا ما يجعلنا نقول إن جبهة ثوار سوريا انتهت بدون حرب تقريباً، ولم تستطع القيادة إقناع جنودها بشرعية المعركة مع "جبهة النصرة". وذلك لأسباب عديدة تتعلق بتكوين الوعي والعقيدة القتالية لدى الجنود والقادة الذين كانوا مبرمجين على قتال النظام، والاتساع العددي على حسب الاعداد النوعي، وغير معدين بشكل جيد لقتال أناس ملتحين يظهر عليهم سيما التدين، ولو كانوا معتدين وغلاة وأصحاب مشروع معاد للثورة.

ضريبة غياب الوعي الثوري:

جاء سقوط جبهة ثوار سوريا في ظرف كانت فيه "الأيديولوجيا الإسلامية" مرتفعة كثيراً عند الفصائل، حتى أن الكثير من عناصر الجيش الحر والفصائل الإسلامية كانوا يرون في "جبهة النصرة" فصيلاً أقرب إليهم من حيث المنهج والسمت والفكر من جبهة ثوار سوريا.

في هذا السياق الزمني، شكلت النصرة في بداية اصطدامها مع جبهة ثوار سورياً عدواً غير واضح ولا مجمع على عداوته من قبل فصائل الجيش الحر، بل إن الكثيرين كانوا يرون فيها حليفاً قوياً للثورة وأقرب إليهم من جبهة ثوار سوريا وهذا الأمر كان لدرجة أن جنوداً من جبهة ثوار سوريا لم يقتنعوا بالدفاع عن أنفسهم ضد النصرة على اعتبار أن النصرة لا تستهدف الجنود إنما تريد القيادات فقط.

18 بحسب معلومات ميدانية حصل عليها الباحث، فأن التقديرات تشير لأكثر من 400 عميل للنظام في جبل الزاوية تمت محاسبتهم في بداية الثورة.

19 مقابلة للباحث مع أحد قيادات جبهة ثوار سوريا، تاريخ 19/ 12/ 2018.

ثم إن طبيعة المرحلة التي كانت تشهد المعارك الضارية بين فصائل الثورة والنظام كانت تقيّم الفصائل بناء على الأداء العسكري وهو ما تفوقت به "جبهة النصرة" على جبهة ثوار سوريا من حيث الإعلام، ولم يُلتفت آنذاك إلى خطورة مشروعها السياسي.

لعل مشكلة جبهة ثوار سوريا أنها المنازل الأول ل "جبهة النصرة" والتي جاءت في وقت لم تكشف فيه خطورتها، وكان جمهور الثورة متعاطفاً مع النصرة التي تُستهدف عناصرها وقادتها من التحالف الدولي والذي هو حليف لجبهة ثوار سوريا، وتضرب مقارها بطائرات هذا التحالف وهي "تدافع عن الشعب السوري".

التأثير الخارجي في المعادلة:

تشكلت قناعة لدى غالبية قادة جبهة ثوار سوريا، وإن كانت غير معلنة، أن هناك عاملاً دولياً يريد اختصار الساحة إلى لونين لا ثالث لهما "اللون الإسلامي" و"لون النظام"، ولا يرغب بوجود لون ثالث هو لون الجيش السوري الحر، وكانت هناك مصالح كبيرة عند الفصائل الإسلامية بإنهاء جبهة ثوار سوريا لإزاحة منافس له انتشار واسع ومدعوم إقليمياً ودولياً، ولو جاءت هذه الإزاحة على يد "جبهة النصرة"، ظناً من هذه الفصائل أن سلسلة الاعتداء ستتوقف عند ابتلاع جبهة ثوار سوريا ولن تصل إليهم.

كان لتضخم جبهة ثوار سوريا التي كانت أكبر فصيل في الجيش الحر، مع امتداد واسع في الجبهة الجنوبية في درعا عاملاً ملفتاً للنظر، ومؤشراً على خطورة هذا الفصيل الذي كان يملك وجوداً قويا على الأرض، خصوصاً أن كثير من الدول الداعمة لم تكن ترغب بوجود فصائل كبيرة في الثورة السورية.

الفشل في اختبار ردة الفعل:

لم تبدأ النصرة اعتداءها على جبهة ثوار سوريا من عرينها ومركز قوتها في جبل الزاوية، وإنما بدأت بضربات اختبارية والطعن في الأطراف، فبدأت بتفكيك الكتائب التابعة لجبهة ثوار سوريا على طول الشريط الحدودي في منطقة حارم _ سلقين _ دركوش، ثم انتقلت حفسرجة وبداما، ولم يتحرك مركز جبهة ثوار سوريا لرد الاعتبار لجنودها وكتائبها وإنما اكتفت بالمطالبة بمحكمة شرعية لم تنعقد إلى اليوم. الأمر الذي أعطى مؤشراً ل "جبهة النصرة" عن هشاشة ارتباط مكونات جبهة ثوار سوريا ببعضها البعض، وعدم وجود العصبة المقاتلة التي تنفر لمواجهة أي استهداف لمعقلها في جبل الزاوية في المستقبل.

خطاب سياسي وطني نظري فاقد للبرامج العملية:

مع ما تميز بها خطاب جبهة ثوار سوريا من وطنية واضحة، يحمل معالم الأدبيات السياسية التي انطلقت منها الثورة السورية من الحرية والديمقراطية وحق الشعب السوري في تقرير مصيره وبناء الدولة التي يريد.

لكن هذا الخطاب الذي كان يصدر للإعلام في الخارج لم يتحول إلى برامج تثقيفية إلى العناصر والجنود والقيادات في الصفوف الأدنى، ضمن دورات ودروس منهجية، وكانت الدروس والتوجيه الذي يستهدف النظام يدور حول بعض التوجيهات الشرعية عن الجهاد وقتال النظام.

ولم تعمل جبهة ثوار سوريا على إيجاد خلية من المفكرين والأقلام التي تنتج المادة السياسية لتثقيف الجنود، كما فعل فصيل "تجمع فاستقم" في مدينة حلب على سبيل المثال، واكتفت بالاعتماد على عامل القوة العسكرية والشجاعة القتالية عند جنودها. مما أفرغ المقاتلين والجنود من أي عقيدة قتالية ضد الذين يستهدفون الثورة السورية وأهدافها ومشروعها من فصائل التطرف والغلو. ورفض قتال المسلمين، خصوصاً أن "جبهة النصرة" ألبست اعتداءها لباس محاربة الفساد، ومقاتلة عملاء أمريكا، ولم تعلن صراحة عن تكفير جبهة ثوار سوريا، تحاشياً من تهمة الغلو[20].

إدارة إعلامية فاشلة للمعركة:

رغم المكان الحصين الذي تتمتع بها منطقة جبل الزاوية والذي كانت تعول عليه قيادة جبهة ثوار سوريا في صمودها ورد اعتداء النصرة، لكنه لم يكن ذا تأثير كبير خصوصاً، أن الكثير من الكتائب رفضت الخروج لمواجهة أرتال النصرة، لأنها لم تقتنع بالمعركة.

ففي الإدارة الإعلامية كان الظهور المتكرر لقائد جبهة ثوار سوريا وهو يمشي أمام الكاميرا وبكلمات مرتجلة، وهو يحمل بارودته متجعباً ويحمل معه الجهاز اللاسلكي، يعطي دلالة واضحة على كمية الارتباك الداخلي في صفوف جبهة ثوار سوريا وعدم التماسك فيما بين مكوناتها، وأن ظهور القائد كان نوع من رفع المعنويات المنهارة ورسالة للجنود ليتماسكوا[21].

التعويل على الوساطات وخيار"المحكمة الشرعية":

كانت جبهة ثوار سوريا تتعامل مع طلبات النصرة في الاحتكام للجنة شرعية، وترسل الوساطات بشكل غير معلن ل "جبهة النصرة"، حتى أن قائد جبهة ثوار سوريا تورط ببيعة غير معلنة لجبهة لنصرة بحسب شهادة الدكتور حذيفة عزام[22].

كما كانت قيادة جبهة ثوار سوريا ترفض إظهار الخلافات على الإعلام والعلن بناء على نصائح بعض المشايخ لأسباب متعددة، من أهمها تجنب الفتنة وتركيز المعركة مع جيش النظام[23].

وعليه فقد كان تعويل قيادة جبهة ثوار سوريا على الوساطات والمبادرات وتشكيل اللجان والمحاكم الشرعية[24]، والذي كانت النصرة تستغله لكسب الوقت، بينما كانت جبهة ثوار سوريا تنتظر أن تثمر هذه المبادرات في كف بغي "جبهة النصرة" التي كانت تتقدم على الأرض وتحسم المعركة.

---

[20] ينظر: بهية مارديني، تقرير صحفي: هجوم موسع على ثوار سوريا ومديح ل"جبهة النصرة"، مصدر سابق.

[21] قائد جبهة ثوار سوريا جمال معروف يتوعد الجولاني و"جبهة النصرة"، الرابط: https://bit.ly/2CNf3GR.

[22] شهادة الدكتور حذيفة عزام على الرابط التالي: https://bit.ly/2MAdJvw.

[23] جاء في جلسة لجمال معروف قائد جبهة ثوار سوريا مع أحد قادة فيلق الشام، أنهم لا يريدون فتنة في ظل هجمات جيش النظام، ووجود معركة في وادي الضيف، والخشية من تأثير المواجهة على معركة وادي الضيف ومعركة مورك، والخوف من تأثير المواجهة على مشروع مجلس قيادة الثورة.

ينظر: جلسة جمال معروف مع أحد قادة فيلق الشام، الرابط: https://bit.ly/2MAi7dY.

[24] طرحت الجبهة الإسلامية مبادرة لوضع حد للقتال الدائر في أكثر من منطقة بالريف بين "جبهة النصرة" وجبهة ثوار سوريا، تركز بشكل أساسي على وقف فوري للقتال بين الأطراف المتنازعة وإطلاق الأسرى من الطرفين.

كما أن عدم صمود مقاتلي جبهة ثوار سوريا ضد النصرة وعدم رغبتهم في القتال أفقد "ثوار سوريا" أوراق الضغط العسكري التي تجبر النصرة على الانصياع للمحكمة الشرعية، فبعد محاصرة جبهة ثوار سوريا في بعض قرى جبل الزاوية لم تجد النصرة حاجة للانصياع للمحكمة الشرعية طالما أن المعركة قد حسمت على الأرض.

جدول مقارنة بين جبهة ثوارسوريا و"جبهة النصرة":

مقارنة بين "جبهة النصرة" وجبهة ثوارسوريا		
المقارنة	"جبهة النصرة"	جبهة ثوارسوريا
القيادة	قيادة مركزية تقود من الخلف وتسيطر على التنظيم بشكل محكم	قيادة ميدانية غير مسيطرة على الفصيل، وجنود غير واثقة بقيادتها في معركتها مع تنظيمات الغلو
العدد	العدد من 4000 -5000 ألاف مقاتل في الشمال	ضخامة في العدد يتجاوز 7000 مقاتل في الشمال
الإعلام	حملة إعلامية قوية قبل عملية البغي لشيطنة جبهة ثوار سوريا وتبرير استئصالها.	إعلام ضعيف مأخوذ بردة الفعل، أكثر منه فعل إعلامي منظم ومدروس
الأداء الأمنية	شراء مجموعة واختراق لصفوف جبهة ثوار سوريا، مع تحييد عدد كبير من الكتائب.	عمل أمني ضعيف
الحاضنة الشعبية	حاضنة شعبية متعاطفة النصرة قبل القتال مع جبهة ثوار سوريا.	حاضنة شعبية متأرجحة مع عدم وجود مبادرات تصالحية مع المتضررين من الثورة، ممن قام ثوار جبل الزاوية بمحاسبتهم.
التسليح	تسليح لا بأس به	تسليح قوي وسلاح ثقيل ضخم موزع على الرباط ومستودعات ذخائر كبيرة
الحلفاء	جند الأقصى، وكتائب غير معلنة من فصائل أخرى	جزء من جبهة ثوار سوريا، (كتائب وألوية، شهداء سوريا)

وحملت المبادرة توقيع رئيس مجلس الشورى وقائد ألوية "صقور الشام"، "أبو عيسى الشيخ"، وطالبت "جبهة النصرة" الانسحاب من مدينة حارم وباقي المناطق التي اقتحمتها مؤخراً، فيما طالبت جبهة ثوار سوريا بفكّ الحصار عن مقرات "النصرة" التي تحاصرها، وعرضت الجبهة الإسلامية على الطرفين، نشر قواتها في المناطق التي تشهد خلافات كطرف حيادي.

كذلك دعت المبادرة إلى تشكيل قوة مشتركة من جميع الفصائل، تتولى مهمة "محاربة الفاسدين وتقديمهم للمحاكم الشرعية"، إضافة لتشكيل لجنة شرعية مستقلة، تكون مهمتها الفصل في النزاعات التي قد تنشأ بين هذه الفصائل.

ينظر: الجبهة الإسلامية تطرح مبادرة لحل الخلاف بين "جبهة النصرة" وجبهة ثوار سوريا، 2014/7/24، الرابط: https://bit.ly/2UjlY1k.

الانتشار	على كل المناطق المحررة والثقل الكبير في محافظة إدلب	على كل المناطق المحررة والثقل في محافظة إدلب
الخطاب الشرعي	خطاب شرعي مركز في المعسكرات على قتال المفسدين، وتكفير مبطن.	خطاب شرعي تصالحي والتحذير من سفك الدماء وحرمة دماء المسلمين.
الاستراتيجية	عمل هجومي منظم ومدروس	عمل دفاعي بدائي وتحصين هش.
القيادة	قائد له تجربة في العراق والتنظيمات المسلحة أكثر من خمس سنوات	قائد شعبي كان يعمل في مهنة البناء قبل الثورة
العمر التأسيسي	النصرة شكلت منتصف 2012	جبة ثوار سوريا أعلن عنها في كانون الأول 2013 وهي تطور وتوسع عن شهداء سوريا
المشروع السياسي	إمارة تغلب غير معلنة مع وجود أدوات، والاختباء وراء المشروع الوطني لاحقاً.	مشروع وطني بدون أدوات
المنظومة الفكرية	سلفية جهادية	تدين محلي معتدل بدون فاعلية
التنظيم الإداري	نظام القواطع، والمناطق الجغرافية، مما يعكس طبيعة الهدف المتمثل بالسيطرة على الجغرافيا	نظام الوحدات والكتائب ورقي أكثر منه فعلي، مما يعكس طبيعة الاستراتيجية القائمة على السيطرة على الفصيل فقط
الجهاز الإداري	مجموعة من سجناء صيد نايا ومقاتلي العراق والأجانب والمشايخ	مجموعة كبيرة من الضباط المنشقة عن النظام
الخسائر البشرية	بحدود 70 قتيل	حوالي 19 قتيل
الحليف الدولي	أداة استخباراتية وظيفية لإجهاض الثورة وصبغها بالسود، وأداة لسحق أي فصيل	الوقوع بين الاستقطاب القطري السعودي
التعامل مع الأقليات	الإكراه على الإسلام وفتح المساجد بمناطق الدروز، ثم تنفيذ مجزرة في بلدة قلب لوزة، بدون محاسبة الفاعل	قيام قائد جبهة ثوار سوريا بزيارة لقرى الطائفة الدرزية والتعهد بالحماية تحت سقف المواطنة
التصنيف الدولي	تصنيف ضمن قوائم الإرهاب وأعيد التصنيف، بعد تغيير المسمى إلى فتح الشام وإعلان فك الارتباط عن القاعدة في 29 تموز/يوليو 2016	تصنف ضمن الفصائل المعتدلة والمدعومة غربياً

تجربة جيش الإسلام في التعامل فصائل الغلو:

جيش الإسلام هو تنظيم عسكري سوري معارض شُكل خلال الثورة السورية، ويعد من أكبر الفصائل العسكرية "الإسلامية" في الثورة السورية، وشارك في تأسيس العديد من الهيئات العسكرية والسياسية المعارضة للنظام.

فبعد أشهر من انطلاق الثورة السلمية في سوريا وقمع النظام لها بالقوة العسكرية، تشكلت في غوطة دمشق الشرقية مجموعة مسلحة صغيرة تحت اسم "سرية الإسلام" في سبتمبر/أيلول 2011، واقتصرت عملياتها على التصدي لقوات النظام في محيط مدينة دوما، وتطورت السرية بعد أشهر لتصبح "لواء الإسلام"، ومن ثم تحولت إلى ما يعرف الآن بـ"جيش الإسلام" بعد مجموعة من الاندماجات مع كتائب من الغوطة الشرقية، وامتداد الجيش إلى الكثير من المحافظات السورية.

يُصنف "جيش الإسلام" على أنه يتبنى الفكر السلفي الدعوي، حيث يؤهل مقاتليه وفق العقيدة الإسلامية معتمداً منهجاً معتدلاً، ويضيف على لسان قائده زهران علوش أن منهجه هو: الإسلام الذي يضم القواعد الأساسية من العدل والإنصاف والحق، ولكن يؤخذ على هذا التوصيف عمومتيه وعدم توضيحه للأهداف السياسية التي يسعى إلى تحقيقها، ولا طريقة تحقيقها[25].

وبشكل عام توضح تصريحات قيادات "جيش الإسلام" أنه يسعى لإسقاط النظام الحالي في سوريا وإقامة نظام يلتزم بأحكام الشريعة الإسلامية[26].

وقد تميزت تجربة جيش الإسلام في تعامله مع فصائل الغلو بنجاح نسبي؛ حيث تمكن من القضاء على تنظيم "داعش" في الغوطة الشرقية[27]، وتمكن من طرد "النصرة" من مناطق سيطرته داخل الغوطة، ولم يتمكن من القضاء عليها بشكل كامل في كامل الغوطة الشرقية[28].

مقاربة جيش الإسلام في مواجهة فصائل الغلو:

اعتمد جيش الإسلام سياسة متعددة الجوانب شرعياً وسياسياً وأمنياً وعسكرياً في تعامله مع الغلو وفصائله.

مقاربة جيش الإسلام الشرعية والسياسية في مواجهة الغلو:

[25] جيش الإسلام. يد تحارب الأسد والأخرى تنظيمَ الدولة، موسوعة الجزيرة، الرابط: https://bit.ly/2NqI7J6.
[26] مقابلة تلفزيونية على قناة الجزيرة مع زهران علوش قائد جيش الإسلام أجراها تيسر علوني، برنامج لقاء اليوم، الرابط: https://bit.ly/2SY5ZcZ.
[27] تقرير صحفي: جيش الإسلام يطرد "داعش" من آخر معاقلها في الغوطة الشرقية، أورينت نت، 2014/7/1، الرابط: https://bit.ly/2sM3xa9.
[28] وقعت عدة معارك بين جيش الإسلام و"جبهة النصرة" أهمها: المعركة الأولى بتاريخ ٢٠١٦/٤/٢٨، والتي انتهت بسلب سلاح جيش الإسلام، ثم المعركة الثانية، والتي استعاد فيها جيش الإسلام مدينة مسرابا الملاصقة لمدينة دوما بتاريخ ٢٠١٦/٦/٢٩، والمعركة الثالثة كانت بتاريخ ٢٠١٧/٤/٢٨، والتي انتهت بإرجاع قسم كبير من سلاح جيش الإسلام وتلاشي تنظيم تحرير الشام "جبهة النصرة".

لقد كان مؤسسو جيش الإسلام من المتابعين لأحداث أفغانستان والجزائر والصومال فكانوا يُراقبونها عن كثب، ورأوا أن من أهم أسباب فشل التجربة دور تنظيم القاعدة وفروعه[29]، لذلك كانت الذاكرة التاريخية لدى قادة الجيش حاضرة في تعاملها مع "جبهة النصرة" و"تنظيم الدولة" والبدء بوضع خطة استباقية لمواجهة خطر هذه التنظيمات.

كان للحملات الشرعية والدعوية التي تقوم بها الهيئة الشرعية لجيش الإسلام دوراً كبيراً في الرد على شبهات هذه التنظيمات، كالمناظرات والدروس التعبوية في المقرات، إضافة إلى تقدم طلاب العلم في الجيش لصفوف المقاتلين لهذه التنظيمات[30].

العمل على تفكيك المنظومة الفكرية للقاعدة والتي بنت عليها منهجها، في مسائل الإيمان والكفر، وتكفير الحاكم، ومسائل البراء والولاء، ونسف أدبيات القاعدة وهدم فكرة جهاد النخبة...إلخ[31].

مقاربة جيش الإسلام العسكرية والأمنية في مواجهة الغلو:

أعطت المركزية الإدارية لجيش الإسلام القيادة القدرة على اتخاذ القرار بقتال ومواجهة هذه التنظيمات بسهولة ودون معوقات وتردد.

العمل على عرقلة دخول تنظيم القاعدة إلى غرف العمليات، أو الاشتراك معهم في المعارك وعدم الخضوع لمزاوداتهم في هذه القضية، وإفشال مخططاتهم للحصول على السلاح النوعي، مع كشف حقيقة أنهم لا يرابطون على ا لثغور.

إنشاء جهاز أمني ضمن الهيئة الأمنية منذ البداية ومكافحة الفكر التكفيري وخلاياه ومن يتعامل معهم، ومنعهم من اتخاذ أي مركز أو مقر أو مسجد لنشر فكرهم ونشاطهم في مناطق نفوذ الجيش، إضافة إلى إعداد بنك أهداف لأماكن تواجدهم وتحصنهم؛ فكانت نسبة 50 % من المعركة أمنية، و50 % عسكرية، كما عمل الجهاز الأمني على اختراق صفوفهم، واحباط خططهم التي كانت تستهدف اغتيال عدداً من قادة جيش الإسلام.

مقاربة جيش الإسلام الإعلامية في مواجهة الغلو:

التوعية الداخلية في الجيش، وإنتاج إصدارات مرئية تظهر فسادهم وكيف دمروا الجهاد والثورات في عدد من الدول، وعقد محاضرات لقادة الجيش الذين عاصروا بعض منظري القاعدة في السجون، كما كان للحملات التوعوية للحاضنة الشعبية دور كبير في تبين فساد هذه التنظيمات، كما كان للنشاط على وسائل التواصل الاجتماعي دورا كبيرا في هذه المجال.

خلاصة تجربة جيش الإسلام في التعامل مع فكر الغلو وفصائله:

---

[29] ينظر على سبيل المثال: مقطع فيديو لرئيس الهيئة الشرعية لجيش الإسلام "سمير كعكة" عن حقيقة "جبهة النصرة". الرابط: https://bit.ly/2TltrwS.

[30] ينظر على سبيل المثال: مقطع فيديو يوضح انطلاق جيش الإسلام لقتال "داعش" في ميدعا، حيث كان على رأس الحملة قائد جيش الإسلام "زهران علوش" والشرعي العام "أبو عبد الرحمن كعكة"، الرابط: https://bit.ly/2sRWblj.

[31] من المبادئ التي قدمها جيش الإسلام من أجل تفكيك المنظومة الفكرية لـ "جبهة النصرة" ما يلي: وصفهم بالخوارج من بداية أمرهم، وبيان أن الجهاد في سوريا هو جهاد دفع فقط ولا يشترط له الراية، وشرح فكرة تطبيق الشريعة التي تتخذها القاعدة سلعة في الترويج لمشروعها، وأن ذلك لا يختصر في العقوبات البدنية والحدود، والتركيز على فكر الاستضعاف في الثورة السورية.

تميز جيش الإسلام عن غيره من الفصائل بأنه كان يحمل عقيدة قتالية واضحة ضد تنظيمات الغلو والتطرف باعتبار هذه التنظيمات تنظيمات غلو وتكفير لا يصلح معها إلا المفاصلة[32].

لم يكن العامل الإيديولوجي هو العامل الوحيد في النجاح النسبي الذي حققه جيش الإسلام في مواجهة تنظيمات الغلو والتطرف، فقد كان للبعد المناطقي والعصبية الاجتماعية في مدينة دوما دوراً كبيراً في التماسك التنظيمي لجيش الإسلام، والذي كان غائباً عن فروع جيش الإسلام في الشمال السوري تماماً.

كانت شخصية القائد زهران علوش الميدانية والجدية والمنظمة إداريا وأمنياً ولوجستياً لها الأثر الكبير في سرعة تحريك الجنود واستجابتهم للأوامر العسكرية.

لقد كانت خلاصة تجربة جيش الإسلام هي نجاح في حدود تغلب المركز على الأطراف، حيث أن مركز جيش الإسلام كان في الغوطة، وهو المكان الذي حقق فيها نجاحاً كبيراً في تفكيك تنظيم الدولة، بينما لم يكن النجاح موفقاً تماماً في تفكيك "جبهة النصرة" قياساً على كم الخسائر.

بالمقابل لم يكن رأس تنظيمات الغلو في الغوطة الشرقية وإنما كان في إدلب والرقة، وهو الأمر الذي قد يعذر به جيش الإسلام بسبب الحصار الشديد الذي عانى منه طيلة خمس سنوات متواصلة.

[32] نود الإشارة إلى أنه، وعلى الرغم مما كان للبعد الأيديولوجي من أهمية كبيرة في توحيد موقف عناصر جيش الإسلام ضد تنظيمات الغلو والتطرف، كان لهذا البعد دوراً سلبياً في استثارة بعض الفصائل "الشعبوية" ضد جيش الإسلام؛ بسبب الخلافات المنهجية بين (أشعري، سلفي)، خصوصاً مع تلميحات وتصريحات من قيادة جيش الإسلام عن شرعية التغلب لتوحيد الغوطة الشرقية، مما دفع بهذه الفصائل للتكتل ضد الخطر المحتمل من جيش الإسلام.

تجربة "جيش الفتح" في التعامل مع فكر الغلو وفصائله:

تأسس "جيش الفتح" يوم 24 آذار 2015 بتوحد سبع مجموعات كبرى من الفصائل المسلحة في الشمال السوري، وقد تكوّن هذا الجيش من فصائل: "أحرار الشام"، و"جبهة النصرة"، و"جند الأقصى"، و"جيش السنة"، و"فيلق الشام"، و"لواء الحق"، و"أجناد الشام". وقُدر عدد مقاتلي "جيش الفتح" آنذاك بعشرة آلاف مقاتل، أغلبهم من فصائل أحرار الشام، والنصرة، وفيلق الشام، وأجناد الشام[33].

بدأ "جيش الفتح" معاركه باتجاه إدلب، واستطاع بفترة وجيزة اكتساح إدلب وتحرير المعسكرات المحيطة بها، إضافة إلى مدينتي أريحا وجسر الشغور.

بعد التحرير ظهرت ملفات أساسية أمام فصائل جيش الفتح كالملفات التعليمية والخدمية والإغاثية والمحلية، والسؤال الذي يطرح نفسه، كيف كان تعامل الفصائل داخل جيش الفتح مع فكر الغلو وفصائله في هذه الملفات وغيرها؟

الظهور الإعلامي والتعامل مع الأقليات: غياب كامل لأي مظاهر ثورية:

لكن لم يتم استثمار المكتسبات العسكرية على الأرض إلى مكتسبات سياسية لصالح الثورة بل منع أي إبراز للون الثورة أو حتى مجرد رفع علم الثورة[34]. وأعطيت صورة إعلامية سيئة لتحرير إدلب، استطاع النظام السوري أن تأكيد روايته: ("الجماعات المتطرفة" هي المسيطرة على إدلب).

فقد كان عبد الله المحيسني السعودي "المصنف على قوائم الإرهاب"، هو الأكثر ظهوراً على الشاشات الإعلامية[35]، وأذاع أبو محمد الجولاني "المصنف على قوائم الإرهاب" "خطاب النصر" بصوتية له[36]. وبالتالي لم تستطع مكونات جيش الفتح من الفصائل القريبة إلى الثورة تغيير الصورة الإعلامية التي ظهرت فيها عملية التحرير.

---

33 تشكل جيش الفتح في ظروف كانت الفصائل تجر الهزيمة على جبهة الساحل بعد وصولها إلى البحر. كانت "جبهة النصرة" هي المبادر لفكرة جيش الفتح وقد حددت الاسم لهذا الجيش، والفصائل التي ستعمل معها، وكانت أحرار الشام ترى أن الأولوية في المعارك العسكرية هي لمعاقل النظام في الساحل لكن بحسب المداولات كان هناك استبعاد من النصرة لجبهة الساحل واختيار إدلب"، وذلك بحسب شهادات شفوية حصل عليها الباحث من بعض قادة حركة أحرار الشام.

وهكذا وُجهت القوة العسكرية الضاربة للفصائل من الهدف الاستراتيجي حيث مقتل النظام في دمشق والساحل، إلى تحرير إدلب. خشيت حركة أحرار الشام من تفرد "جبهة النصرة" في السيطرة على إدلب، خصوصاً بعد الكلام المسرب عن نية الأخيرة تشكيل إمارة في الشمال السوري، فقررت الدخول في جيش الفتح متأخرة.

مع ذلك كانت هنالك أصوات تحذر من أن مشروع جيش الفتح هو استنساخ لمشروع مجلس شورى المجاهدين في العراق الذي استطاعت "داعش" من خلاله تفكيك فصائل المقاومة العراقية لصالح القاعدة.

34 ناشط يروي لـ "السورية نت" توضيحات "جيش الفتح" لمنع علم الثورة بمناطقه، السورية نت، 2016/3/11، الرابط: https://bit.ly/2CS5HK0.

35 ينظر: د. عبد الله المحيسني في شهادته على تحرير إدلب، قناة الأورينت، الرابط: https://bit.ly/2Roezw8.

36 الجولاني: النصرة لا تسعى لحكم إدلب، الجزيرة نت، 2015/4/1، الرابط: https://bit.ly/2Bd8jC3.

وفي السياق ذاته، حصلت تجاوزات على الأقلية المسيحية وممتلكاتها في الأيام الأولى من تحرير إدلب، وكان المسؤول عنها هو " فصيل جند الأقصى"، وحاولت الفصائل "المعتدلة" منع تلك الانتهاكات وتوفير الحماية لأفراد الأقليات وممتلكاتهم ودور عبادتهم[37].

وقد صدر تقرير من منظمة العفو الدولية (أمنستي) يدين فيها تجاوزت لجيش الفتح ضد الأقليات المسيحية في المدينة[38]، وقد ردت حركة أحرار الشام برد مطول على منظمة العفو الدولية تفند فيه اتهاماتها[39].

إدارة إدلب: بين "مجلس شورى الفتح" و"إدارة مدنية" :

عقب تحرير إدلب، كانت الكثير من أصوات الناشطين والكّتاب تحاول أن تستثمر هذا الانتصار العسكري إعلامياً وسياسياً من خلال إبراز الوجه المدني وتمكين القوى المدنية والشعب من انتخاب إدارة إدلب[40]، وكان هذا رأي بعض مكونات جيش الفتح كأحرار الشام وفيلق الشام[41]، لكن الضغط الكبير كان من تنظيم جند الأقصى والنصرة على أحقية المجاهدين في إدارة إدلب، وهنا وجدت بعض الفصائل أنها ستخرج من المشهد إذا أصرت على الإدارة المدنية وستنفرد النصرة وجند الأقصى ومن معهم بإدارة مدينة إدلب[42].

بعد المضي بفكرة تولي الفصائل لإدارة المناطق التي حررها جيش الفتح، حاولت الفصائل "المعتدلة" إظهار الإدارة بمظهر مدني ولو "شكلياً"، فكان اعتماد تسمية محافظ بدلاً من والي، واستلم منصب المحافظ اثنان مقربان من حركة أحرار الشام[43].

ثم بضغط من "جبهة النصرة" وجند الأقصى تم العدول عن فكرة "نظام المحافظة" بحجة أنه مشابه للنظام الإداري لدى النظام، والانتقال إلى نظام الإدارة عبر ما يسمى "مجلس شورى جيش الفتح"[44] ومعهم "اللجنة الشرعية"[45]. ومن هنا بدأت الفوضى الإدارية والاستقطاب الحاد بين أحرار الشام والفصائل القريبة منها وبين "جبهة النصرة" وجند الأقصى والفصائل القريبة منها.

---

37 مسيحيو ريف إدلب لا عيد هذه السنة أيضاً، المدن، 2016/12/23، الرابط: https://bit.ly/2HFtaUn.

38 تقرير حقوقي: لقد كان التعذيب عقاباً لي، منظمة العفو الدولية، 2016/7/5، ص32-35، الرابط: https://bit.ly/2HROITI.

39 "أحرار الشام" ترد على "أمنستي"، السورية نت، 2016/7/14، الرابط: https://bit.ly/29Gdvj9.

40 ينظر على سبيل المثال: د. برهان غليون، المعارضة السورية وتحدي الأرض المحروقة، موقع برهان غليون، 2015/4/3، الرابط: https://bit.ly/2G8ph7S.

41 بحسب شهادة شفوية من أحد قادة فيلق الشام للباحث.

42 كان "لواء الحق" المعروف بامتلاكه للعتاد الثقيل، مبايع سراً للنصرة، وكان صوته دائما لصالح النصرة.

43 هما مضر حمدون من بنش ثم جاء من بعده بلال جبيرو من مدينة إدلب.

44 كان مجلس الشورى يضم (أحرار الشام + صقور الشام /7/ أصوات، "جبهة النصرة" /5/ أصوات، جند الأقصى /3/ أصوات، فيلق الشام /3/ أصوات، جيش السنة /صوتان/، أجناد الشام /صوت واحد/).

45 ضمت اللجنة الشرعية: عبد الله المحيسني (سعودي الجنسية) وهو قاضي جيش الفتح، محمد عبد السلام (مصري الجنسية)، عبد الرزاق المهدي (سوري الجنسية).

بعد الفشل الذي منيت به إدارة جيش الفتح خصوصاً في شقها المدني، عمدت إلى إجراء "انتخابات شعبية" لاختيار أعضاء مجلس محلي، رأى فيها البعض محاولة التفاف على الجهات الداعمة التي رفضت التعامل مع العسكر، بينما اعتبر آخرون أن جيش الفتح لن يسلم المدنيين الإدارة بكامل الصلاحيات، وسيواصل التدخل في تنظيم شؤون المدينة[46].

مع محاولة "مجلس المدينة الجديد" تنظيم شؤون المدينة والنهوض بالواقع الخدمي فيها، عمدت "إدارة جيش الفتح" إلى المماطلة في تسليم الملفات الإدارية والخدمية، حيث لم يتسلم المجلس سوى "مديرية الخدمات" و"دائرة الأفران" ومؤسستي الكهرباء والمياه؛ أي القطاعات المُنهَكة، والتي يصعب تشغيلها في ظل ضعف التمويل والإمكانات، الأمر الذي أفضى إلى ضعف الحاضنة الشعبية للمجلس، وهو ما حقق على ما يبدو مراد "إدارة جيش الفتح" التي أبقت بقية الدوائر العامة في مدينة إدلب بيدها، من دون الإيفاء بمذكرة التفاهم الموقعة سابقاً مع "المجلس المحلي في مدينة إدلب".

ثم أقدمت هيئة تحرير الشام على إنهاء عمل المجلس المحلي لمدينة إدلب بعد تشكيلها الإدارة المدنية التابعة لها[47].

مما تقدم، نلحظ الفشل الذريع الذي مُنيت به فصائل الثورة في تعاملها مع فصائل الغلو على المستوى الإداري، حيث استطاعت الأخيرة فرض أجندتها ورؤيتها "الإدارية"، بما تملكه من "بروباغندا تطبيق الشريعة الإسلامية"، والذي استطاعت من خلاله إجبار بقية الفصائل على المضي معها في خطوات مثلت مقتلاً لملف إدارة المحافظة: مثل إخضاع الإدارة للمحاصصة الفصائلية بعيداً عن معايير الكفاءة، وإدخال أشخاص أجانب في اللجنة الشرعية، ورفض رفع علم الثورة ...إلخ، مروراً بتشكيل مجلس محلي "مدني"، وانتهاء بحله والسيطرة المباشرة على مفاصل الإدارة في المدينة.

الملف التعليمي: في عهدة "نظام الأسد":

كان الملف التعليمي ثقيل الحمل على إمكانيات جيش الفتح المادية، فنفقات المدارس ورواتب المعلمين كانت أضخم من أن يستطيع تأديتها، وقد رفضت المنظمات التي تواصلت معها إدارة جيش الفتح لدعم الملف التعليمي بحجة سيطرة إدارة جيش الفتح عليه. حتى أن بعض المنظمات أوقفت نشاطها في دعم التعليم بعد الاعتداء عليها من قبل "جبهة النصرة"[48].

بعد رفض المنظمات دعم الملف التعليمي، لم يبق أمام "إدارة جيش الفتح" إلا أحد خيارين لإدارة هذا الملف: إما إبقاءه بيد النظام، أو الاستعانة بالحكومة المؤقتة التابعة للائتلاف، ثم بعد المداولات اتخذ "شورى الفتح" قراراً بإبقاء الملف التعليمي بيد النظام، وترك الغالبية العظمى من مدارس المحافظة تحت إشرافه، مبرراً ذلك بأن المفسدة المترتبة على هذا الأمر أقل من مفسدة إدخال الحكومة المؤقتة التي تحمل "مشروع الائتلاف العلماني"[49].

---

46 تقرير صحفي: تحت ضوء الديمقراطية: مجلس مدينة إدلب الأول، شبكة شام، 2017/1/20، الرابط: https://bit.ly/2k94h2u.

47 تقرير صحفي: "تحرير الشام" تنهي "مجلس مدينة إدلب"، المدن، 2017/8/29، الرابط: https://bit.ly/2TbPXvn.

48 تقرير: بعد الاعتداء على كوادرها.. منظمة "Save The Children" تعلّق مشاريعها في سوريا، أخبار الآن، 2015/10/19، الرابط: https://bit.ly/2GFOc3Q.

49 بحسب فتوى "شورى الفتح" فإن "شرعية حكومة النظام الكافر" زائلة، بعكس "شرعية الائتلاف العلماني" التي يمكن أن تحظى بقبول لدى الحاضنة، وتشكل مشروعاً منافساً لمشروع "المجاهدين الإسلامي"، وبالتالي فإن بقاء الأولى أقل مفسدة من إدخال الثانية، وعلى هذا الأساس لم يسمح للحكومة المؤقتة بالإشراف على ملف التعليم.

أثبتت الفصائل في هذا الملف كذلك عدم قدرتها على مواجهة مشاريع الغلو، واضطرت مرة أخرى لمسايرتها، مما أدرى إلى نتائج كارثية لاحقاً انعكست على العملية التعليمية برمتها، خصوصاً من جهة فوضى الإشراف وتعدد المرجعيات.

الملف القضائي: في قبضة "فصائل الغلو":

تشكلت من الفصائل المشاركة في جيش الفتح لجنة لإدارة القضاء في مدينة إدلب من خلال انتداب مندوب عن كل فصيل، وقد تشكلت الهيئة القضائية لجيش الفتح من الشرعيين المنتسبين لفصائل جيش الفتح.

وقد ظهر تأثير فصائل الغلو على هذا الملف المهم من خلال التصرفات التالية:

رفض تولية القضاء للمحامين أو القضاة المنشقين.

رفض فكرة الاعتماد على تقنين معين في الحكم؛ حيث رفض مندوبو ""جبهة النصرة" وجند الأقصى وحركة أحرار الشام" اعتماد القانون العربي الموحد، واعتمد على الراجح من الفقه الإسلامي في الحكم والقضاء، مما يعني أن المسألة متروكة لاجتهاد القاضي.

التوقيع على الأحكام بأسماء وهمية غير حقيقية، تحديداً من القضاة المنتسبين لجند الأقصى و"جبهة النصرة"، حيث لم تستطع الفصائل إلزامهم بالتصريح بأسمائهم الحقيقية في الأحكام.

إدخال الأجانب من غير السوريين إلى القضاء.

التخلي عن شرط التأهيل الشرعي واشتراط الشهادة؛ لأن أغلب الشرعيين في "جبهة النصرة" وجند الأقصى لا يحملون شهادات شرعية.

تشير هذه التصرفات وغيرها إلى المدى الذي وصلت إليه سيطرة فصائل الغلو على الملف القضائي، ولعل من أسباب ذلك: تركيز فصائل الغلو على هذا الملف الحساس نظراً لما يعنيه من سيطرة وتحكم بملفات الإدارة (فهو إحدى السلطات الرئيسة في الحكم)، إضافة إلى إسناد هذا الملف "للشرعيين" حتى داخل فصائل الثورة، بما يعنيه في الغالب وجود اجتهادات أقرب إلى فصائل الغلو منها إلى النهج المعتدل.

خلاصة تجربة "جيش الفتح":

أثبت هذه التجربة الخطأ الفادح الذي وقعت فيه فصائل قوى الثورة والمعارضة بتحالفها مع "فصائل الغلو" العسكري، والذي أدى إلى نتائج وخيمة على المستوى السياسي والإداري والخدمي؛ حيث لم تستطع فصائل الثورة من فرض رؤيتها في تلك الملفات، واضطرت لمسايرة "فصائل الغلو" التي فرضت سيطرتها شبه الكاملة والمطلقة على الملفات القضائية والتعليمية والخدمية ...إلخ.

لم تكتف بعض "فصائل الثورة" بأخطائها في التحالف والتشارك مع "فصائل الغلو" على مستوى إدلب، وإنما حاولت تكرار تلك التجربة في مناطق أخرى في حلب والقلمون والغوطة الشرقية ودرعا وريف حمص.

لقد كانت النتيجة: خطأ التحالف والتشارك مع "فصائل الغلو" سيستتبع أخطاء تراكمية في مختلف المستويات، ولن تستطيع "رؤية الاعتدال" التخفيف من "تنطع الغلو".

تجربة حركة نور الدين الزنكي "الأولى"[50]:

تأسست (كتائب نور الدين الزنكي) أواخر عام 2011 في بدايات ظهور العمل المسلح، حيث تركز انتشار هذه الكتائب في عدة قرى ومدن غرب حلب "الريف الغربي"، حيث أدارت شؤون عدة بلدات في الريف الشمالي الغربي لمدينة حلب مثل (قبتان الجبل، المن صورة، حوّر، وقرية الشيخ سليمان)، وأعلنت عن تغيير اسمها بعد انسحابها من جيش المجاهدين في أيار 2014 م إلى «حركة نور الدين الزنكي»، تلاه توسعة في أعداد المقاتلين والكتائب التابعة للحركة، كانفصال لواء أبناء الصحابة عن لواء التوحيد وانضمامه للزنكي، حتى وصل عدد مقاتلي الحركة إلى ألفَيْ مُقاتل تقريبا[51].

تعلن حركة الزنكي أن هدفها الأساسي هو إسقاط النظام، وبناء دولة المؤسسات[52]، وتتميز بوجود حاضنة شعبية لها في ريف حلب الغربي، إضافة إلى الحالة التنظيمية ذات المستوى العالي التي وصلت إليها، خصوصاً على المستوى الأمني والعسكري، فضلاً عن ذلك، اهتمامها بالعمل المدني على نحو خاص ومنظّم، فأحدثت عدة مكاتب للاعتناء بأمور المدنيين في المناطق الخاضعة لسيطرتها.

خاضت حركة نور الدين الزنكي مع فصائل جيش المجاهدين[53] قتالاً شرساً مع تنظيم "داعش"، تمكنت من خلاله فصائل الريف الغربي من طرده من المنطقة نهائياً في أوائل عام 2014، لتعلن حركة الزنكي لاحقاً انفصالها عن جيش المجاهدين[54].

كانت حركة نور الدين الزنكي محسوبة على فصائل الجيش الحر، قبل أن تشكل "هيئة تحرير الشام" مع فصيل "جبهة فتح الشام" ""جبهة النصرة" سابقاً"، لتكون جزءاً من أحد فصائل الغلو. ولذلك فإن تجربة الحركة تعد مميزة من جهة أنها كانت جزءاً في فصائل الغلو، ثم انسحب لتدخل معها في معارك وجودية.

لذلك سنستعرض بداية تحولات العلاقة بين حركة نور الدين الزنكي مع "جبهة النصرة"، ثم نستعرض الأسباب التي ساعدتها على الصمود في وجه الجبهة بعد الانفصال.

تحولات العلاقة بين حركة نور الدين الزنكي وبين "جبهة النصرة":

مرت العلاقة بين الطرفين بعدة مراحل: ابتداء بالتحالف مروراً بالاندماج وانتهاء بالقتال المباشر بينهما.

---

[50] كُتب هذا البحث قبل بغي "هيئة تحرير الشام" الأخير على الزنكي، وتمكنها من القضاء على الفصيل بشكل نهائي.

[51] بيان تشكيل كتيبة نور الدين الزنكي في عينجارة، 2012/12/14، الرابط: https://bit.ly/2Sl8Jfs.

[52] توفيق شهاب الدين: أسباب الاقتتال مع تنظيم الدولة، لقاء اليوم، قناة الجزيرة الفضائية، 2014/3/14، https://bit.ly/2BNoF4I.

[53] بيان تأسيس جيش المجاهدين، 2014/1/2، الرابط: https://bit.ly/2tDC5eR.

[54] مرت حركة نور الدين الزنكي بعدة تجارب فصائلية اندماجية، بدأت بالانضمام إلى لواء التوحيد، ثم تشكيل جيش المجاهدين والجبهة الشامية، ثم الانضمام إلى هيئة تحرير الشام.

مرحلة التحالف:

انضمت حركة الزنكي إلى تحالف "هيئة تحرير الشام" الذي تقوده "جبهة فتح الشام" في أوائل عام 2017م[55]. ثم ما لبث أن ظهرت علامات الشرخ في جسد التحالف الجديد، مع قرار "الهيئة" بفتح معركة ضد "حركة أحرار الشام"، استمرت ثلاثة أيام، وانتهت في 21 يوليو/تموز 2017، بتقويض قوة "الأحرار" لحساب توسيع وتعزيز سيطرة "هيئة تحرير الشام"، مما دفع بحركة نور الدين الزنكي للانسحاب من الهيئة.

مرحلة الصراع على السياسة:

اندلع الهجوم الأول لهيئة تحرير الشام ضد "حركة نور الدين الزنكي" في 10 / 11 / 2017 قرب بلدة الدانا في ريف إدلب الشمالي، حيث كان عبارة عن مناوشات محدودة، تطورت إلى اشتباكات مُسلحة، طوقت ضمن نطاق جغرافي ضيق.

استمرت المعارك وكانت الذريعة المعلنة هي رد صيال "حركة الزنكي"، بينما كان الهدف الحقيقي هو رغبة "جبهة النصرة" الاستفراد بالتنسيق مع الجيش التركي الذي بدأ بنشر نقاط المراقبة بناء على اتفاقات أستانا.

وكانت النتيجة هي فشل العملية العسكرية لـ "جبهة النصرة" بعد 12 يوم من القتال المستمر، ودخول الجيش التركي بالتنسيق مع حركة نور الدين الزنكي إلى ريف حلب الغربي.

مرحلة الصراع الوجودي:

بدأ ت هيئة تحرير الشام بحملة عنيفة في 14 شباط 2018 واستمرت /67/ يوماً متواصلة على معاقل حركة نور الدين الزنكي في الريف الغربي.

كما هي عادة فصائل الغلو ومنها "جبهة النصرة" في اتخاذ أسباب ظاهرية لتبرير بغيها على الفصائل؛ اتهمت الجبهة حركة الزنكي بقتل "أبي أيمن المصري" على أحد حواجزها، حيث وظفت الجبهة الحدث لاستنفار المهاجرين[56]، وبإدخال "جيش الثوار"[57] لمناطقها من أجل قتالها[58].

أما الأسباب الحقيقية وغير المعلنة لـ "جبهة النصرة" فيمكن تلخيصها: بإنهاء وجود حركة الزنكي في الريف الغربي، وتسيد المشهد السياسي من خلال إنهاء أية قوة مؤثرة على الأرض، والاستيلاء على كل من المعبر الواصل بين دارة عزة ومنطقة

---

[55] "فتح الشام" تندمج مع أربعة فصائل بسوريا، الجزيرة، 2017/1/28، الرابط: https://bit.ly/2Vfv53W.

[56] بأي ذنب قُتل "أبو أيمن المصري"، وكالة إباء، 2018/2/17، https://bit.ly/2ErXkXg.

[57] تشكل جيش الثوار من عدة فصائل وكتائب كانت تتبع سابقاً لفصيلي جبهة ثوار سوريا وحركة حزم وانضمت إليه مؤخراً عناصر لواء أحرار الزاوية وجميعها كانت قد خرجت من الأراضي السورية بعد الهجوم الذي قادته جبهة النصرة عليهم ابتداء من أواخر عام 2014.

ويضم تشكيل جيش الثوار الذي أعلن عنه بتاريخ 3 - 5 - 2015 كلاً من " لواء المهام الخاصة - لواء 99 مشاة - قيادة سرايا النخبة - لواء الحمزة - لواء القعقاع - أحرار الشمال وجميعها من محافظة إدلب" بالإضافة لـ " كتائب شمس الشمال - لواء شهداء الأتارب - لواء السلطان سليم - جبهة الأكراد من محافظة حلب" و " كتائب القادسية والفوج 777 من ريف حمص".

ينظر: جيش الثوار من الولادة إلى التمرد، شبكة شام، 2016/2/14، الرابط: https://bit.ly/2tCplW2.

[58] عمر حاج أحمد، ما دوافع الاقتتال بين "تحرير سوريا" و"تحرير الشام"؟، تقرير إعلامي، أورينت نت، 2018/2/26، الرابط: https://bit.ly/2rR2cOU.

عفرين، وجبل الشيخ بركات الاستراتيجي، إضافة إلى منع التحام قوات غصن الزيتون مع مناطق الريف الغربي لحلب الخاضعة لسيطرة حركة الزنكي.

انتهت الحملة بفشل ذريع لهيئة تحرير الشام رغم استقدامها لـ فصيل "الحزب الإسلامي التركستاني"[59]، وخرجت حركة الزنكي من المعركة فارضة شروطها وكاسبة للمزيد من مناطق السيطرة خصوصاً في مدينة دارة عزة.

والسؤال الذي طرح نفسه آنذاك: ما هي العوامل التي ساعدت حركة الزنكي على الصمود في مواجهة "جبهة النصرة"؟ هذا ما نستعرضه في الفقرة التالية:

عوامل نجاح حركة نور الدين الزنكي على مواجهة هيئة تحرير الشام "جبهة النصرة":

تعددت العوامل التي ساهمت في نجاح حركة الزنكي "الهجوم الأول" في تعاملها مع "جبهة النصرة"؛ بعضها يعود إلى أسباب ذاتية، وبعضها يتعلق بأساليب التعامل.

العوامل الذاتية التي ساهمت في نجاح حركة الزنكي في التعامل مع هيئة تحرير الشام:

تتمثل تلك العوامل في القيادة المركزية التي تمتعت بها الحركة، والاستعداد النفسي لمواجهة فكر الغلو لدى جنود الحركة.

القيادة المركزية: استطاعت قيادة حركة الزنكي ذات الطبيعة الميدانية والملتصقة بجنودها، قيادة الحركة بسيطرة كاملة وتحكم منضبط بكل تفاصيل المعركة، فعلى الرغم من قراراتها السريعة في القتال والصلح، لم تسجل أي حالة انشقاق فردية او جماعية من الفصيل، بل كان ملاحظاً الاستجابة والانصياع على كآفة العناصر والكتائب، وهو ما يعكس الثقة الكبيرة بين القيادة والعناصر، والإدارة الاحترافية عسكرياً وإعلامياً وتوجيهياً وسياسياً[60].

الاستعداد النفسي لدى جنود حركة الزنكي: ترسخت حالة من الكره الشديد في نفوس جنود حركة الزنكي لهيئة تحرير الشام، وقد نمت هذه المشاعر مع البغي المتكرر من هيئة تحرير الشام على حركة الزنكي خصوصاً وفصائل الجيش الحر عموماً، وهو ما كان له بالغ الأثر في عملية التحشيد السريع للجنود للنفير والالتحاق بالجبهات لصد بغي تحرير الشام، حيث لم تبذل قيادة الزنكي كثير جهد لإقناع عناصرها ، كما فشلت محاولات تحرير الشام الإعلامية لتطمين جنود حركة الزنكي وإقناعهم بالانشقاق، حيث بقيت المناطقية عامل تماسك قوي أمام الخطاب الإيديولوجي لتحرير الشام.

---

[59] تأسس "الحزب الإسلامي التركستاني" في الصين في العام 1997 على يد حسن معصوم، الذي تمكن من تجنيد آلاف المسلمين الصينيين "الأويغور" للقتال في سبيل استقلال تركستان (إقليم شينغ يانغ) عن الصين، قبل أن يتوجه مقاتلو الحزب إلى أفغانستان ليقاتلوا إلى جانب تنظيم "القاعدة"، ومن ثم حركة "طالبان". وقد قتل معصوم في مايو/أيار العام 2002 جراء غارة أميركية في أفغانستان، ليتولى من بعده عبد الحق التركستاني زعامة المجموعة، ولا يزال على رأسها حتى الآن.

انتقل عناصر الحزب إلى سوريا بشكل فردي ومجموعات صغيرة، وتركز وجودهم في منطقة جسر الشغور وما حولها.

لمزيد من المعلومات، ينظر: عدنان أحمد، تنظيمات "القاعدة" وأخواتها في إدلب: "التركستاني" للانتقام من الصين (4)، العربي الجديد، 2018/10/15، https://bit.ly/2SnD4dl.

[60] كلمة مصورة من القيادي في حركة الزنكي علي سعيدو مع بدء قتال هيئة تحرير الشام، https://bit.ly/2EtkY5M.

كما أن التجربة التي اكتسبها عناصر الزنكي في تعاملهم مع تنظيمات الغلو والتطرف من خلال مسيرة "جبهة النصرة" في تفكيك 20 فصيل سابق، أعطتهم مناعة قوية مع خطاب النصرة المكرر عن الفساد و"التعاون مع الأمريكان".

العوامل المتعلقة بأساليب حركة الزنكي التي ساهمت في نجاحها تعاملها مع هيئة تحرير الشام:

تنوعت الأساليب التي استخدمتها حركة الزنكي في مواجهة "جبهة النصرة" مستفيدة من أخطاء الفصائل السابقة التي استطاعت فيها الأخيرة القضاء عليها. ومن أبرز هذه الأساليب الخطاب الإعلامي المدروس، واستعمال الحرب النفسية، وبناء التحالفات مع الفصائل، وإسقاط ورقة المقاتلين الأجانب من يد الجولاني، إضافة إلى الاستثمار الجيد للجغرافية، والتحشيد الشرعي.

الخطاب الإعلامي المدروس: كانت إدارة الخطاب الإعلامي لحركة الزنكي من أفضل الخطابات في الثورة السورية فيما يخص جماعة الغلو والتطرف، فقد راعت حركة الزنكي دائماً الحيثيات التي قد تستغلها قيادة تحرير الشام لتكفير حركة الزنكي، وإقناع عناصرها بشرعية القتال معهم؛ فحتى عندما انشقت حركة الزنكي وخرجت من هيئة تحرير الشام كانت تسرد المبررات بطريقة تدحض ما كانت تتغنى بها تحرير الشام من تحكيم الشريعة وحقن الدماء ووحدة الصف والبغي[61].

كما كانت سياسة حركة الزنكي الإعلامية تقوم على إسقاط قادة تحرير الشام، وإيصال رسائل التودد والشفقة للجنود، وتظهر المشاهد المحرجة لقادتهم وشرعييهم أمام عناصرهم[62]، إضافة إلى حالة السخط الشعبي من تصرفاتهم[63].

استعمال الحرب النفسية: برعت حركة الزنكي في استعمال الحرب النفسية عبر عدة تكتيكات وأساليب منها:

قامت قيادة الزنكي وأثناء انضمامها لتحرير الشام بتسجيل العديد من مكالمات قياداتها أثناء بغيها على حركة أحرار الشام الإسلامية، حيث أظهرت التسجيلات الانحطاط الأخلاقي لقيادة تحرير الشام، من خلال استحلالهم الكذب في اتهام الصقور بقتل عنصرين من عناصرهم، والاستهزاء بمشايخ الهيئة ذاتها والحديث عن اعتقال عبد الله المحيسني[64]، والكلام بخفة عن "الاستشهاديين"، مما هز الصورة الرمزية والهالة القدسية لصورة قيادات تحرير الشام، وتزعزع الثقة بين الشرعيين والقيادة من جهة، وبين الجنود وقياداتهم من جهة أخرى[65].

61 بيان انشقاق حركة نور الدين الزنكي عن تحرير الشام، 2017/7/20، الرابط: https://bit.ly/2BQxESJ.

62 قياديو النصرة يصرفون مكافآت لعناصرهم كي يصمدوا في وجه الزنكي واحرار الشام بإدلب وريفها، الرابط: https://bit.ly/2GF9Fdj.

63 غضب الشارع السوري في المناطق المحررة إزاء ممارسات هيئة تحرير الشام بريف حلب الغربي، مداد برس، 2018/2/24، الرابط: https://bit.ly/2IzUfJ3.

64 حيث شكل ذلك صدمة لدى الفئات المؤيدة لهيئة تحرير الشام لما كان يمثله المحيسني من مكانة لديها، خصوصاً وأنه كان القاضي العام لدى جيش الفتح. وقد ساهم ذلك في انشقاق المحيسني ومصلح العلياني عن هيئة تحرير الشام.

65 جميع التسريبات موجودة على قناة التلغرام لخالد الشمالي، الرابط: https://t.me/Dkhaled_1.

نشر فيديوهات لعشرات العناصر الأسرى من جنود تحرير الشام وهم يناشدون قياداتهم لتبديلهم وفك أسرهم مما شكل عامل ضغط كبير على تحرير الشام[66].

استعراض القوة، وتسيير الأرتال المدججة بالجنود والسلاح، مما لعب دوراً في رفع معنويات جنود حركة الزنكي، وضرب الحالة المعنوية لجنود تحرير الشام الذين كانوا يتصورون المعركة مع الزنكي نزهة كغيرها من الفصائل[67].

استعراض قتلى وجثث عناصر هيئة تحرير الشام الذين قتلوا في معارك البغي ضد الزنكي، مع خطاب عاطفي يحمل قادتهم المسؤولية، ويأسف على مقتل العناصر "المسكينة"[68].

التحشيد الشعبي وإظهار الروح المعنوية لدى الفعالية المدنية في المنطقة التي تديرها الحركة، حتى خرجت النساء بمقاطع مصورة برسائل إلى جنود هيئة تحرير الشام[69].

التصدي للحرب النفسية التي كان يمارسها إعلام "جبهة النصرة" وذلك من خلال التفنيد وإثبات كذب الأخبار التي تشاع عبر الإعلام الرديف، من خلال قناة خاصة لنفي الأخبار الكاذبة.

توسيع النفوذ المناطقي وبناء التحالفات مع الفصائل: نجحت حركة نور الدين الزنكي بضم كل من كتائب ثوار الشام في الريف الغربي ومقرها الأتارب بقيادة النقيب علي شاكردي، وضم حركة بيارق الشام بقيادة النقيب خالد العمر إلى صفوفها، مما زاد في قوتها، ووسع نفوذها ضمن الريف الغربي، ولم يبق إلا بعض الجيوب لتحرير الشام والمقرات لفيلق الشام[70].

كما أقدمت حركة نور الدين الزنكي على تشكيل جبهة تحرير سوريا مع حركة أحرار الشام[71]، وتحالف غير معلن مع فصيل "صقور الشام"؛ وهذا يعني أنها باتت قادرة على ضرب هيئة تحرير الشام في معظم الجغرافيا المحررة، وعدم حصر المعارك في ريف حلب الغربي

إسقاط ورقة المقاتلين الأجانب من يد الجولاني: كانت قيادة تحرير الشام تلعب دائما على ورقة المهاجرين في كل بغي وحملة تقوم بها على فصيل من الفصائل، ولكن استطاعت حركة الزنكي اسقاط ورقة المهاجرين من يد الجولاني من خلال ضم بعضهم لصفوفها، مثل الشيخ علي العرجاني (الشرعي الكويتي)، وانشقاق المحيسني بعد عملية التسريبات المسيئة للشرعيين ووصفهم (بالمرقعين)، حيث تمكنت حركة الزنكي إلى حد كبير من تحييد المقاتلين الأجانب "من الخليج تحديداً".

66أسرى هيئة تحرير الشام يناشدون أمرائهم وشرعييهم الاسراع في العمل على مبادلتهم، الرابط: https://bit.ly/2XkGvoO.

67 مقطع يصور استعرض أرتال حركة الزنكي، الرابط: https://bit.ly/2XnM4Td.

68 تسليم قتلى هيئة تحرير الشام الذين سقطوا أثناء اقتحامهم لبلدة تقاد، الرابط: https://bit.ly/2XoChg3.

69 رد وجهاء بلدة قبتان الجبل وعنجارة على أبو العبد أشداء وأبو اليقظان من أبرز قادة هيئة تحرير الشام، الرابط: https://bit.ly/2GGa1QN.

70 بيان انضمام كتائب ثوار الشام وبيارق الشام إلى حركة الزنكي، الرابط: https://bit.ly/2tBsPIw.

71 بيان اندماج الأحرار والزنكي في جبهة تحرير سوريا، الرابط: https://bit.ly/2SkBpFn.

كما وظفت حركة الزنكي حادثة تصفية أحد المصريين المنتسبين لأحرار الشام (أبي تراب) على يد هيئة تحرير الشام، من أجل إثبات كذبها ونفاقها في ادعاء حرصها على المهاجرين.

الاستثمار الجيد للجغرافيا: امتازت حركة نور الدين الزنكي بموقع جغرافي حصين ومهم ومتصل، استطاعت استثماره من خلال إغلاق الطرقات ونشر الحواجز، والسيطرة على التلال الاستراتيجية وحماية ظهرها بمناطق غصن الزيتون.

كما تمكنت من تحقيق توازن الرعب والرد المباشر على أي اعتداء قبل الدعوة للمحكمة الشرعية والدعوة لتشكيل اللجان، من خلال محاصرة جيب هيئة تحرير الشام في مناطق عندان كفر حمرة حريتان المحاط بمناطق حركة الزنكي، والذي شكل نقطة ضعف لدى الهيئة.

التحشيد الشرعي: عملت حركة الزنكي على استصدار بيان من المجلس الإسلامي السوري حول وجوب رد بغي تحرير الشام[72]، كما كان هناك ردود شرعية من علي العرجاني (شيخ كويتي الجنسية)، ودعوى للمباهلة من قائد حركة نور الدين الزنكي للشيخ أبي الحارث المصري (شرعي في هيئة تحرير الشام) الذي عرض بكفر حركة نور الدين الزنكي[73].

التجاوب مع كل مبادرة للتفاوض والصلح مع استمرار القتال المباشر: تجاوبت حركة الزنكي مع كل مبادرات الصلح، بما فيها تلك الصادرة عن المشايخ أو الوجهاء[74].

كما سمحت للوجهاء بلقاء سجناء من جيش الثوار، بقصد سحب الذريعة التي تمسكت بها هيئة تحرير الشام للبغي على حركة الزنكي بحجة أن الأخير يجمع جيش الثوار من أجل قتال الهيئة[75]، واستطاعت بذلك إثبات كذب ادعاءاتها.

وكانت حركة الزنكي تصر في مفاوضاتها على أن يكون الحل ليس بينها وبين تحرير الشام، وإنما لا بد أن يكون الحال شاملاً لكل مناطق حلب وحماة والساحل وإدلب، وعدم هيمنة تحرير الشام على القرار السياسي وقرار السلم والحرب، إضافة لرفض تحكمها بالمعابر والمقدرات الاقتصادية للمناطق المحررة، وتحرير كافة المعتقلين من كافة الفصائل، وتسليم السلطة لهيئات منتخبة من الشعب السوري[76].

النقاط السلبية في تجربة حركة نور الدين زنكي مع هيئة تحرير الشام:

شكل عامل المناطقية دوراً إيجابياً في الدفاع، فمن طبيعة العنصر المتمسك بأرضه، الموجود بين أهله وعشيرته الصمود في صد أي اعتداء وهجوم من أي قوة كانت. لكن بالمقابل كان عاملاً من عوامل ضعفه أثناء الهجوم والقتال خارج منطقته، مما

72 المجلس الإسلامي السوري يصدر بيانًا بشأن بغي هيئة تحرير الشام على حركة نور الزنكي، الرابط: https://bit.ly/2E9XZLI.

73 هيئة تحرير الشام بين نقض الهدن والتهرب من المباهلة والمناظرة، وكالة إباء الإخبارية، الرابط: https://bit.ly/2E9XZLI.

74 مبادرة مجلس العشائر ولقاؤها مع قيادة حركة نور الدين الزنكي، مداد برس، 2017/11/16، https://bit.ly/2EeoTlA.

75 زيارة المشايخ لسجناء جيش الثوار عند الطرفين، الرابط: https://bit.ly/2BTkgNI.

76 شروط حركة نور الدين الزنكي لوقف إطلاق النار، الرابط: https://bit.ly/2SpigC2.

أضعف حركة الزنكي في المحافظة على المناطق التي سيطرت عليها من هيئة تحرير الشام، على عكس عناصر الأخيرة، حيث أن جنودها غير مرتبطين بمناطق معينة في الغالب.

على الرغم من تحرك حركة أحرار الشام، وفصيل صقور الشام مع حركة نور الدين الزنكي ضد تحرير الشام، بقي مشروع جبهة تحرير سوريا مشروعاً هشاً ولم يتطور للاندماج الكامل، مما جعل فاعليته أقل من المتوقع في رد بغي تحرير الشام؛ حيث أن عدة تشكيلات من حركة أحرار الشام لم تشترك في رد بغي تحرير الشام، وفضلت تحييد مناطقها.

إن الانضباط الذي كان ملاحظ على عناصر نور الدين زنكي داخل مناطقه، لم يكن بنفس المستوى عندما تمدد إلى المناطق التي استردها من تحرير الشام، فقد حصلت بعض التجاوزات من عناصرها مما جعل الحاضنة تتوجس منهم.

إن اشتراك قوات من حركة نور الدين الزنكي في الاعتداء على فصيل تجمع فاستقم وجيش الإسلام، أثناء حصار حلب الأمر أفقدها بعض التعاطف من الناشطين الثوريين[77]، كما أن دخول حركة نور الدين الزنكي في مشروع سابق مع تحرير الشام أفقد الكثر من الفصائل ثقته بها خصوصاً من فصائل درع الفرات.

[77] هاجمت حركة الزنكي أثناء اقتحام قوات الأسد وحلفاءه أحياء مدينة حلب المحاصرة، مقرات "تجمع فاستقم كما أمرت" ونهبت عتادها وأسلحتها، واتهمت الحركة آنذاك بأنها ساهمت مع "جبهة النصرة" في سقوط حلب.

ينظر: عقيل حسن، "حركة نور الدين الزنكي" غلطة الشاطر الكبرى، المدن، 2016/11/6، الرابط: https://bit.ly/2GJajGq.

خلاصة الدراسة ونتائجها:

نعتقد أن الطابع العام لتجارب فصائل الثورة السورية مع فكر الغلو وفصائله كان سلبياً، باستثناء بعض النجاحات المحدودة زمنياً ومكانياً، ولعل السبب الرئيس في ذلك، هو ضعف الوعي لدى غالبية قادة هذه الفصائل بخطر هذا الفكر ومآلاته الكارثية مبكراً، الأمر الذي أدى إلى تراكم الأخطاء وتعاظمها، مما جعل إمكانية معالجتها ذاتياً من قبل هذه الفصائل، وبعد الوعي بها لاحقاً، مهمة شبه مستحيلة خصوصاً مع ضعف الظاهرة الفصائلية وتآكلها.

مع ذلك، بقيت لكل تجربة فصائلية مع فكر الغلو وفصائله خصوصيتها وواقعها، حيث يمكن تلخيص نتائج التجارب التي ركزت عليها الدراسة بما يلي:

في تجربة جبهة ثوار سوريا:

إن ضعف الحاضنة الشعبية وضحالة التوجيه الفكري، وغياب المشروع المقاوم، والترهل التنظيمي، والإعلام المنفعل، و"الحلفاء الباردين" لم يكن ليصمد أبدا في وجه التصلب المنهجي والضخ الإعلامي والفعل المبادر والإحكام التنظيمي والمشروع الواضح، الذي عملت عليه "جبهة النصرة" في حربها مع جبهة ثوار سوريا.

وبالتالي، فقد يمكن تلخيص التجربة بأنها مواجهة بين تنظيم محكم تنظيمياً ومتصلب إيديولوجياً وملمع إعلامياً، واضح الهدف والمشروع، وهو "مشروع جبهة النصرة"، مع فصيل مترهل داخلياً، ومشوه إعلامياً، والمشروع لديه مرتبك وحلفاؤه له كارهين "جبهة ثوار سوريا".

في تجربة جيش الإسلام:

ساهمت عدة عوامل في نجاح تجربة جيش الإسلام نسبياً مقارنة بتجارب فصائلية أخرى، أهمها: حمله عقيدة قتالية واضحة ضد تنظيمات الغلو والتطرف، والبعد المناطقي والعصبية الاجتماعية في مدينة دوما، إضافة إلى التماسك التنظيمي. هذا النجاح النسبي كان مقتصراً على الغوطة الشرقية؛ مركز جيش الإسلام. ولم يمتد خارجها سواء باتجاه الشمال، مركز "جبهة النصرة" أو باتجاه الشرق مركز "داعش"، نظراً للحصار الشديد الذي عانى منه طيلة خمس سنوات متواصلة.

في تجربة جيش الفتح:

أثبتت تجربة الفصائل مع جيش الفتح عدم جدوى **مقاربة الاحتواء والتفكيك لتنظيمات الغلو والتطرف** المتصلبة أيديولوجياً، خصوصاً مع فصائل تعاني من الهشاشة الفكرية والتنظيمية. فقد استطاعت "جبهة النصرة" ومن خلال دخولها إلى البيت الداخلي للفصائل المنضوية في جيش الفتح، تفكيكها من داخلها، خصوصاً أن قيادة "جبهة النصرة" كانت تتعامل مع حركة أحرار الشام من خلال التواصل مع قيادات الصفوف الدنيا، بينما كانت الأولى تتعامل مع الثانية من خلال رأس الهرم، وهو الامر الذي سيظهر أثره لاحقاً في انشقاق جيش الأحرار والتحاقه بهيئة تحرير الشام[78].

[78] عقيل حسن، "جيش الأحرار": فصيل داخل فصيل، المدن، 2016/12/12، الرابط: https://bit.ly/2U5A8n9.

لقد كان شغف الفصائل بتحقيق انتصارات عسكرية، بدون دراسة الجدوى السياسية لهذا الانتصار، مدخلاً للانتحار السياسي، فالانتصارات العسكرية لجيش الفتح كانت في حقيقتها هزائم سياسية للثورة، التي لم تستطع حتى رفع علمها في مدينة إدلب، وكانت في الوقت ذاته، انتصاراً سياسياً للنظام الذي أقنع العالم أن من استولى على إدلب هم "مجموعات إرهابية متطرفة" من الأجانب. لتنتهي انتصارات جيش الفتح في إدلب إلى هزيمة عسكرية قوية في حلب.

لقد كانت تجربة إدارة جيش الفتح عبارة عن تجربة مكررة مستنسخة عن تجارب التحالف مع تنظيمات الغلو في دير الزور، والرقة، وتجربة الرباعية في حلب، والتي انتهت جميعها إلى الفشل الذريع، وإلى المزيد من تغول تنظيمات الغلو على المشهد السياسي والعسكري والمدني للثورة السورية.

عززت تجربة جيش الفتح فكرة التغلب عند قيادة "فتح الشام هيئة تحرير الشام لاحقاً" بدلاً من تعزيز فكرة الاعتدال وحل التنظيم لصالح الثورة، خصوصاً بعد فشلها في استمالة الفصائل إلى مشروع اندماج تحمي نفسها من خلاله من خطر التصنيف، كما أن التواصل العشوائي بين مكونات أحرار الشام وقيادة فتح الشام سهلّ المهمة على جبهة فتح الشام في شق صف حركة أحرار الشام المستقطبة داخلياً (وخروج ما يسمى بجيش الأحرار من الحركة)، بعد البغي عليها من تنظيم فتح الشام والاستيلاء على معبر باب الهوى الذي كانت تديره.

في تجربة حركة نور الدين الزنكي:

نجحت تجربة حركة نور الدين الزنكي "الأولى" في حماية الفصيل ووجوده، من خلال استثمار كل الأوراق العسكرية والإعلامية، والخطاب الديني، والخطاب السياسي، والضغط الاجتماعي، واستطاعت المحافظة على وجودها وتحقق النكاية العسكرية في هيئة تحرير الشام، مما جعل الأخيرة ترضخ للصلح ووقف إطلاق النار. لكن هذا الناجح بقي في حدود الحفاظ على المنطقة التي تتعصب للفصيل المسيطر، ولم تتطور التجربة إلى استراتيجية مبادرة تقوم على استئصال تنظيمات الغلو والتطرف نهائياً.

خلاصة تجربة حركة نور الدين الزنكي أنها كانت مواجهة بين قوة متعصبة اجتماعية مع قوة متأكلة أيديولوجياً، وبذلك استطاعت العصبية المتماسكة صد "الأيديولوجيا المستهلكة".